الإمام أبو الحسن الندوي (١٣٣٢-١٤٢٠هـ)

"إن أفضل طريقة للتنبؤ بالمستقبل،

هي أن نصنعه"

عالم رباني وداعية مجاهد وأديب تميز بجمال الأسلوب وصدق الكلمات، إنه الداعية الكبير ورباني الأمة الشيخ أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ صاحب كتاب من أشهر كتب المكتبة الإسلامية في هذا القرن، وهو كتاب: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».

لم يكن الإمام أبو الحسن الندوي رجلاً مر على التاريخ مرور الكرام، بل كان ظاهرة فكرية رسخت أفكارها في أساليب الدعوة، وطلب العلم، وتكبد العناء خدمة للدين وأهله، ورفعة للإسلام وحضارته. كان رحمه الله شعلة وهاجة إذ بلغ مجموع مؤلفاته وترجماته ٧٠٠ عنواناً، منها ١٧٧ عنوانا بالعربية، وقد ترجم عدد من مؤلفاته إلى الإنجليزية والفرنسية والتركية والبنغالية والإندونيسية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية الأخرى.

نشأة مباركة:

ولد إمامنا بقرية تكية، مديرية رائي بريلي، الهند عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، أبوه علامة الهند ومؤرِّخُها السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني رحمه الله صاحب المصنَّفات المشهورة، التي منها: «نُزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر في تراجم علماء الهند وأعيانها». ولم يكتب الله لأبي الحسن أن يهنأ بعلم والده طويلاً؛ إذ توفي والده وهو في التاسعة من عمره، فتكفلت به أمه وأخوه الذي كان مديراً لندوة كبار العلماء.

تعلم على يد أمه الفاضلة -التي كانت مؤلفة هي الأخرى- القرآن الكريم واللغتين الأوردية والفارسية، ثم بدأ بتعلم العربية بعد وفاة أبيه بسنة. وكان رحمه الله من المهتمين باللغات طلباً للعلم أياً كان، وقد قام في وقت لاحق من عمره بتعلم اللغة الإنجليزية، لينهم من علومها ولتكون سلاحاً له في دعوته إلى الحق.

بدأ يطور لغته العربية على يد الشيخ خليل بن محمد اليمني حتى شغف بالأدب العربي - على خلاف العادة يومئذ في الهند، لأنهم كانوا يزهدون فيه، وعني عناية خاصة بالعكوف على كتب ثلاثة هي: (نهج البلاغة) و(دلائل الإعجاز) و(والحماسة) ثم التحق رحمه الله بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة لكناو، وهي جامعة تدرس العلوم المدنية باللغة الإنجليزية، وكان الإمام حينها أصغر طلاب الجامعة سناً.

درس الشيخ الحديث لمدة سنتين في (ندوة العلماء)، ثم عمل مدرساً في دار العلوم التابعة لهذه الندوة عام ١٩٣٤م، ودرَّس فيها التفسير والحديث، والأدب العربي وتاريخه والمنطق.

العمل لأجل الدعوة:

بدأ يتوسع في المطالعة والدراسة -خارجاً عن نطاق التفسير والحديث والأدب والتاريخ أيضاً- منذ عام ١٩٣٧م، واستفاد من كتب المعاصرين من الدعاة و المفكرين العرب، وفضلاء الغرب، والزعماء السياسيِّينَ. بالإضافة إلى استفادته من الصحف والمجلات التي كانت تأتي لأخيه في الندوة، مما مكنه من الاطلاع على مجريات العالم وأحداثه في ذلك الوقت.

اختير عضواً في المجلس الانتظامي (الإداري) لندوة العلماء عام ١٩٤٨م، وعُيِّن نائبا لوكيل ندوة العلماء للشؤون، ثم وقع عليه الاختيارُ أميناً عاماً لندوة العلماء -بعد وفاة أخيه الدكتور السيد عبد العلي الحسني- عام ١٩٦١م.

أسَّسَ مركزاً للتعليمات الإسلامية عام ١٩٤٣م، ونظَّم فيها حلقاتِ درسٍ للقرآن الكريم والسنَّة النَّبويَّةِ، فتهافتَ عليها الناسُ من الطبقة المثقفةِ والموظَّفين الكبار. كما قام بتأسيس حركة رسالة الإنسانية عام ١٩٥١م، والمجمع الإسلامي العلمي في لكناو عام ١٩٥٩م. كما شارك في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية عام ١٩٦٠م، و المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند عام ١٩٦٤م، و هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ١٩٧٢م. وقام الشيخ عام ١٩٨١م بالدعوة إلى أوَّل ندوة عالمية عن الأدب الإسلامي في رحاب دار العلوم لندوة العلماء.

مؤلفاته وإنتاجه:

نُشِرَ له أوَّلُ مقالٍ بالعربية في مجلة (المنار) للعلامة رشيد رضا عام ١٩٣١م حول حركة الإمام السيد أحمد بن عرفان (الشهيد في بالاكوت عام ١٨٣١م). كما ظهر له أوَّلُ كتاب بالأردية عام ١٩٣٨م بعنوان (سيرة سيد أحمد شهيد) ونال قبولاً واسعاً في الأوساط الدينية والدعوية.

وفي عام ١٩٤٠م ألّف كتابه (مختارات في أدب العرب)، وكان من اهتمامه بأطفال الأمة تأليفه لسلسلتين من كتب الأطفال الهادفة، وهي (قصص النبيين) و(القراءة الراشدة).

بعد ذلك، بدأ في تأليف كتابه المشهور (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) عام ١٩٤٤م، وأكمله عام ١٩٤٧م، وقد طُبِعت ترجمتُه الأرديةُ في الهند قبل رحلته الأولى للحج عام ١٩٤٧م، وهذا الكتاب برأينا- أعظم كتبه وأجلها، بل ومن أعظم الكتب التي شخصت واقع الأمة الإسلامية في عصرنا الحديث، ولا يسعني حقيقة- تصور باحث في حضارة الأمة وتاريخها لم يقرأ هذا الكتاب.

كما كلفته الجامعة الإسلامية في عليكره بوضع منهج الليسانس في التعليم الديني، وألقى في الجامعة الملية في الهند محاضرة طبعت في وقت لاحق.

وكان من اهتمامات الشيخ الصحفية أنه كان كاتباً في مجلة (الضياء) التي تصدرها ندوة العلماء باللغة العربية، ثم تولى رئاسة تحرير مجلة (الندوة العلمية) بالأوردية، وقام الشيخ لاحقاً بإصدار مجلة (التعمير) بالأوردية.

أسفاره:

كان الشيخ كثير السفر طلباً للعلم ونصرة للدعوة ومن ذلك سفرته إلى مدينة لاهور عام ١٩٢٩م، وكانت أوَّلَ رحلةٍ له إلى بلدٍ بعيد، حيث تعرَّف على علمائها وأعيانها، والتقى بشاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، وكان قد ترجم بعض قصائده إلى العربية، وفي هذه الرحلة عرضه عمه الشيخ محمد طلحة على المربي الكبير الأستاذ محمد شفيع، واستشاره في الميدان الذي يختاره للدراسة في المستقبل، فأشار عليه الأستاذ بالاستمرار في تعلم العربية. كما سافر إلى ديوبند عام ١٩٣٢م، وأقام بدار العلوم ديوبند للحضور في دروس العلامة المحدث

المجاهد حسين أحمد المدني في الحديث الشريف، كما استفاد منه بصفة خاصة في التفسير وعلوم القرآن.

كما دُعِي أستاذاً زائِراً في جامعة دمشق عام ١٩٥٦م، وألقى محاضرات بعنوان: (التجديد والمجدِّدون في تاريخ الفكر الإسلامي) ضُمَّت - فيما بعد- إلى كتابه الكبير (رجال الفكر والدعوة في الإسلام).

وألقى محاضرات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - على دعوة من نائب رئيسها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز- عام ١٩٦٣م، طُبِعت بعنوان: (النبوة والأنبياء في ضوء القرآن).

وفي عام ١٩٦٨م سافر إلى الرياض -على دعوة من وزير المعارف السعودي- للمشاركة في دراسة خطة كلية الشريعة، وألقى بها عدَّةَ محاضرات في جامعة الرياض وفي كلية المعلِّمين، وقد ضُمَّ بعضُها إلى كتابه: (نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية). ولم يتوقف الشيخ عن سفراته تلك حتى توفاه الله تعالى.

تكريم وتقدير:

- أدار الشيخ الجلسة الأولى لتأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٦٢م نيابةً عن رئيسها سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -وقد حضر أولَّها جلالةُ الملك سعودُ بن عبد العزيز آل سعود، كما حضرها الملك إدريس السنوسي حاكم ليبيا، وشخصيات أخرى ذات شأن-وقدَّم فيها مقالَه القيِّمَ بعنوان: (الإسلام فوق القوميات والعصبيات).

- فاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٠م.

- تأسَّست رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ١٩٨٤م فاختير رئيساً عاماً لها.

- منح جائزة السلطان حسن البلقية العالمية في موضوع (سيرأعلام الفكر الإسلامي) من مركز آكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٨م.

- منحته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو ISESCO) تقديرا لعطائه العلمي المتميز، وإكباراً للخدمات الجليلة التي قدمها إلى الثقافة العربية الإسلامية - وسام الإيسسكو من الدرجة الأولى. وقد استلم هذا الوسام -نيابة عنه- ابن أخت سماحته في الرباط في ٢٥ من شعبان ١٤٢١هـ.

وفاته:

في صباح يوم الجمعة الموافق ٢٤ رمضان ١٤٢١هـ لآخر يوم من السنة الميلادية ١٩٩٩م اغتسل الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله رحمة واسعة، ثم خرج لطلابه وطلب منهم قراءة سورة الكهف وما إن أتموها حتى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، فاضت بعدما ملأ الدنيا علماً وفضلاً، فاضت لتترك ثغرة يصعب علينا نسيان من كان يحميها.